

الفصل الثاني والثلاثون

امارات عربية شمالية

. لقد استغلت القبائل العربية الضعف الذي ظهر على الحكومة السلوقية ، فأخذت تزحف نحو الشمال وتهدد المدن القريبة من البوادي وتحاول الاستيلاء عليها . وقد استولت فعلاً على بعضها وكونت حكومات يمكن ان نطلق عليها مصطلح (مشيخة) أو إمارة بحسب مصطلحاتنا السياسية في الزمن الحاضر . وهي حكومات توقفت حياتها على كفاية من كونها واقام اسسها ، وعلى كفاية من خلف المؤسسين لها من اشخاص . ولذلك كان عمرها قصيراً في الغالب . وكان حجمها يتوسع أو يتناقص بسرعة ، لأن قوة الحكومات بقوة الحكام ، فاذا كان الحاكم ذا شخصية قوية واردة وحزم وذكاء ، أغار على جيرانه وهاجم حدود الدول الكبرى ، وأصابها بأضرار تضررها الى الاعتراف به رئيساً على قبيلته وعلى الأعراب الخاضعين لسلطانه ، ويبقى على مكانته هذه مادام قوياً ، فإذا خارت قواه ، او ظهر منافس له أقوى منه ، ولا سيما إذا كان منافسه قد جاء حديثاً من البادية بدم نشيط ، ومعه قوم أقوياء أصحاب عدد ، زعزع عن محله المرموق ، وصار الأمر لغيره ، وهكذا .

ويجب ألا ينصرف الذهن الى ان هذه القبائل كانت قد جاءت الى بادية الشام في هذا الزمن أو قبله بقليل ، فقد سبق أن تحدثت عن وجود الأعراب في هذه البادية قبل هذا العهد بزمان . وقد رأينا كيف حارب الآشوريون الأعراب ، ولم يكن اولئك الأعراب الذين كانوا قد كونوا (امارات) لهم في البادية من أبناء

الساعة بالطبع ، بل لا بد ان يكونوا قد هبطوا بها قبل حروبهم مع الآشوريين
بزمان لا يعرف مقداره إلا الله ، ولا بد أن يكون اتصال عرب جزيرة العرب
بهذه البادية اتصالاً قديماً ، فالبادية والهلل الخصب امتداد لأرض جزيرة العرب
والهجرة بين هذه المواضع قديمة قدم ظهور هذه المواضع الى الوجود .

لم يكن أمام اعراب جزيرة العرب من مخرج حينما تجف أرضهم ويقضي الجفاف
على البساط الأخضر الذي يفرشه الغيث في بعض السنين على سطح الأرض مدة
غير طويلة ، إلا الهجرة الى اماكن يجدون فيها الخضرة والماء ، ليحافظوا بها
على حياتهم وحياة ماشيتهم ، وإلا تعرضوا للهلاك . والخضرة والخصب لا يكونان
إلا حيث يكون الجو الطيب والماء الغزير ، وهما متوافران في الهلال الخصب وفي
أطراف جزيرة العرب في الجنوب ، حيث تسعف أشجار البحر العربي والمحيط
تلك الأرضين فتغذيها بالرطوبة والأمطار ، لذلك كانت الهجرات الى مثل هذه
الأرضين دائمة مستمرة .

ويجد أعراب نجد في البادية وفي الهلال الخصب ملاذهم الوحيد في الخلاص
من خطر الفناء جوعاً ، فيتجهون بحكم غريزة المحافظة على الحياة نحوها ، غير مباليين
بما سيلاقون من صعوبات ، وأية صعوبات تواجه الانسان أعظم من تحمل الموت
جوعاً وببطء .

كانت كل قبيلة من هذه القبائل تضرب خيامها في المواضع التي ترى فيها
العشب والماء والغنم في البادية أو عند الحضر . فاذا وجدت للحضر حكومة قوية
احترمتهم ، وان وجدت فيهم ضعفاً ، هزئت بهم ، واستولت على ما عندهم ،
وأخذت ترعى في أرضهم : ثم هي لا تقبل بكل ذلك ، بل كانت تفرض عليهم
(إتاوة) يؤدونها لهم ، مقابل حمايتهم من اعتداء الأعراب الآخرين عليهم .
وبذلك تمكن سادات القبائل من فرض سلطانهم على بعض المدن كحمص والرها
والحضر ، وغيرها من المدن التي حكمها أسر عربية ، في رأي بعض الباحثين^١ .
وقد وقف الأعراب وقفة تريبص وتأهب من الحكومات القوية المهيمنة على
الهلل الخصب ، كانوا يراقبون ويدرسون بذكائهم ونجربتهم السياسية أوضاعها ،

١ العرب في سورية قبل الاسلام ، تأليف رينه ديسو ، تعريب : عبد الحميد
الدواخلي ، من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الجمهورية العربية
المتحدة ، (ص ٤) .

فاذا أحسوا فيها ضعفاً بادروا الى استغلاله قبل فوات الأوان . وللأعراب في هذا الباب حاسة غريبة ذات قدرة كبيرة في ادراك مواطن الضعف عند الحضر وعند الحكومات . فاذا تيقنوا بقوة شتم حاستهم من وجود ضعف عند الحضر أو عند حكومة ما ، ووجدوا ان في امكانهم استغلاله في صالحهم جاءوا الى من وجدوا فيه ضعفاً بشروط تناسب مع ضعف مركزه ، وبطلبات يملونها عليه ، قد تكون طلب زيادة (الإتاوات) أي الجعالات السنوية التي تدفع لهم ، وقد تكون السماح لهم بالزحف نحو ارض الحضر والتوسع في الأرضين الخصبة ذات الكلا والماء ، وقد تكون طلباً بالاعتراف بسيادتهم على ما استولوا عليه وعلى أعراب البادية ، وما الى ذلك من شروط ، قد تزيد فيها ان وجدت من تتفاوض معهم تساهلاً وقد تتساهل ان وجدت منهم شدة وعجرفة وقوة : مع اللجوء الى الحيل السياسية وذلك بالاتصال سراً مع الجانب الثاني المعادي للانضمام اليه ، وتأييده بحصولهم على شروط أحسن ، وعلى ربح أعلى وأكثر مما يعطيهم أصحابهم الذين هم على اتفاق معهم . وسنجد فيما بعد أمثلة على أمثال هذه المفاوضات السياسية السرية تجري مع الفرس ، وأحياناً مع الرومان أو الروم .

وقد غلّمت الطبيعة حكومات العراق وبلاد الشام دروساً في كيفية التعامل والتفاهم مع الأعراب . علّمتهم ان القوة ضرورية معهم ، وان الصرامة لازمة تجاههم ، لكبح جماحهم والحد من غلواء غزوهم للحلود وللحواضر، وان التساهل معهم معناه في نظر الأعراب وجود ضعف في تلك الحكومات ، وان معنى ذلك طلب المزيد . ولذلك أقاموا مراكز محصنة على حواشي الصحارى ، أقاموا فيها حاميات قوية ذات بأس ولها علم بالبادية وبمعاركها ودروبها ، ومعها ما تحتاج اليه من (الميرة) والماء . وبنوا فيها (أهراء) أي مخازن تخزن فيها الأطعمة لتوزيعها على الأعراب عند الحاجة للسيطرة عليهم بهذا الأسلوب كما خزنوا فيها كميات من المياه في (صهاريج) تحت الأرض ، وحفروا بها الآبار للشرب ، ولتموين الأعراب بها أيضاً عند انحباس المطر وحلول مواسم الجفاف . وضعوا كل ذلك في حصون محصنة ، ليس في استطاعة الأعراب الدنو منها أو اقتحامها، لأن عليها أبراجاً وفي أسوارها الحصينة العالية منافذ يرمي منها الرماة سهاماً تخرج منها بسرعة كأنها شياطين ، تخيف ابن البادية ، فتجعله يتحرج من الدنو من تلك الحصون .

ونجد اليوم في العراق وفي بلاد الشام آثار بعض تلك الحصون التي أقامها حكام العراق وحكام بلاد الشام لصد غارات الأعراب عن أرض الحضر ، ولتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، حصون منعزلة نائية كأنها جزر صغيرة برزت في محيط من الرمال والأنربة ، بعيدة عن مواطن الحضارة ، عند أصحابها على إقامتها في هذه المواضع ، لتكون خطوط دفاع أمامية تحول بين أبناء البادية وبين الدنو من مواطن الحضر ، وتشغل الأعراب بالقتال حتى تأتي النجدة العسكرية فتصطدم بهم ان تمكنوا من اختراق تلك الخطوط .

وقد علمت الطبيعة حكام العراق وحكام بلاد الشام ان القوة وحدها لا تكفي في ضبط الأعراب وتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، علمتهم ان جيوشهم النظامية لا تستطيع أبداً أن تتعقب فلول الأعراب التي تراجع بسرعة لا تبلغها عادة الجيوش النظامية في الوصول الى البادية حصن الأعراب الحصين . وعلمتهم أيضاً ان جيوشهم متى توغلت في البادية فان احتمالات اندحارها وانذارها تزيد عندئذ على احتمالات الانتصار . فالأعرابي هو ابن البادية ، وهو أخبر بها من الحضر ، وهو يعرف مواضع (الإكسر) فيها (إكسر الحياة) وهو الماء . لقد خبر آبارها ، وخزن الماء في مواضع احتفرتها وجعلها سرية فلا يقف عليها الا خزائنها ، لهذا فان من الحماقة محاربة الأعراب في ديارهم ، وان من الخير مداونتهم واسترضائهم وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء أصحاب الشخصيات والمواهب ، على دفع هبات مالية سنوية لهم ترضيهم ، في مقابل ضبط الحدود وحمايتها من خطر مهاجمة الأعراب لها وغاراتهم عليها . مهما كان أصل أولئك الأعراب ، وفي مقابل الاشتراك مع أولئك الحكام المتحالفين معهم في حروبهم لأعدائهم ، إما بتقديم الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب ، مثل تقديم الجبال لهم لحمل الجنود والأثقال والماء وكل ما يحتاج اليه الجيش في عبوره الى البوادي .

وتقرن الجمالات السنوية بهدايا وألطف يقدمها الحكام الى سادات الأعراب ، وبألقاب مشرفة تبهج النفوس الضعيفة لاستوائهم الى جانبهم ، وبدعوات توجه اليهم في المناسبات لزيارة أولئك الحكام والنزول في ضيافتهم ، فتخلع عليهم الخلع التي تستهويهم وتجعلهم الى جانب أولئك الحكام .

ولأجل الوقوف على حركات الأعراب وسكناتهم ، وللمراقبة أعمال سادات القبائل ، وضعت الحكومات مندوبين عنها في مضارب أولئك السادات ، يتنسمون

الأخبار ويعثون بها الى الحكام . وقد كانوا في الوقت نفسه بمنزلة المستشارين لهم . وقد يقرنون ذلك بوضع حاميات قوية معهم للدفاع عن أولئك السادات ان جابههم خطر ، أو للضغط عليهم ولردعهم في حالة تفكيرهم بنقض حلفهم مع تلك الحكومات . وقد عرف هؤلاء المستشارون أو (المندوبون الساميون) في عرفنا السياسي في الزمن الحاضر بـ (قيبو) في اللغة الآشورية ، وكانوا يرسلونهم الى مضارب سادات القبائل لتوجيههم الوجهة التي يريدها ملوك آشور ، وللتجسس عليهم وإرسال أخبارهم الى أولئك الملوك حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، ويتخذوا ما يرون من قرارات تجاههم .

ولم يكن من العسير على حكام العراق وحكام بلاد الشام ، استبدال سيد قبيلة بسيد قبيلة آخر ، إذا ما وجدوا في سيد القبيلة المحالف لهم صديقاً أو ميثلاً الى عدوهم ، أو نزعة الى الاستئثار بالحكم لنفسه والاستقلال .

فالبادية أرض مكشوفة ، وأبوابها مفتوحة لا تمنع أحداً من دخولها ، فإذا جاء سيد قبيلة طامعاً في مركز وأرض وكلاً وماء ، ووجد في عدده وعدته قوة ، نافس من نزل قبله ، وطمع في ملكه وتقرّب الى الحكام ليحلّوه محله ، وليأخذ مكانه . وإذا وجد أولئك الحكام في القادم شخصية قوية وأنه أقوى من السابق ، لأنه ظهر عليه بعدد من معه وبقرة شخصيته ، وأن السيد القديم لم يظل ذا نفع كبير لهم ، فلا يهتمهم عندئذ إزاحته عن مكانه ، وإحلال الجديد محله . وكل ما يطلبه الحكام هو ضمان مصالحهم ، ومن يتعهد بحماية مصالحهم صار حليفهم وصديقهم كائناً من كان . وهكذا البشر في كل مكان وزمان من أية أمة كانوا . لقد سيطرت القبائل العربية على شواطئ الفرات وهيمنت عليها في أيام السلوقيين . ونجد ساداتها وقد نصبوا أنفسهم عمالاً (فيلاركا) على تلك الشواطئ منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وبعده وتدل أسماء أولئك العمال على أن أصحابها كانوا من أصل عربي ، وأن الأسر التي كونوها هي أسر عربية . وكلما كانت أسماء الملوك الأولين لهذه الأسر أسماء عربية ، كانت أكثر دلالة على أصل أصحابها العربي . فقد جرت العادة أن الملوك المتأخرين يتأثرون بتيارات زمانهم الاجتماعية وبرسوم وعاداته ، فيتخذون ألقاباً وأسماء يونانية أو سريانية أو فارسية ، تظهرهم وكأنهم من أصل يوناني أو سرياني أو فارسي ، على حين هم من أصل عربي ،

ولهذا كانت لأسماء مؤسس الأسر أهمية كبيرة في إثبات اصل الأسرة^١ .
وقد استغل الأعراب أهمية الطرق البرية التي تمر بالبوادي، وهي شرايين التجارة العالمية بالنسبة لذلك الوقت ، فتحكموا في مسالكها ، واستغلوا أهمية الماء بالنسبة للقوافل والجيش ، فلم يكن في وسع جيش قطع البادية من غير ماء ، وأخذوا يعاملون المعسكرين : المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وهو المعسكر الروماني وفقاً لحاجتهما الى هذه الطرق والماء ويفرضون على المعسكرين شروطاً تتناسب مع مواقفهما العسكرية ومع الأحوال السائدة بالنسبة لتلك الأيام ، وصاروا يجبرون كل معسكر من المعسكرين على تقديم أحسن الترضيات لهم لتقديم خدماتهم له ، والانضمام اليه ضد المعسكر الشحيح البخيل .

ومن هذه الإمارات : إمارة الحضر ، وإمارة (الرُّها) Edessa ، وإمارة (الرستن - حمص) Emesa — Arethusa وإمارة (سنجار) Singara ، وحكومة تدمر ، ثم حكومة الغساسنة في بلاد الشام ، وحكومة المناذرة في العراق .
ويلاحظ ان بعض هذه الحكومات ، تكونت في مدن كانت قديمة عامرة ، سكانها من غير العرب ، ومع ذلك صارت مقراً لأسر حاكمة عربية ، باستيلاء تلك الأسر عليها وباخضاعها لحكمها واتخاذها مقاماً لهم ، فصار الحكم عليها في أيدي تلك الأسر . أما المحكومون فهم السكان الأصليون، وغالبهم من غير العرب ولسانهم هو لسان بني لارم في الغالب .

وهناك إمارات تكونت على أطراف الحضارة ، وفي مواضع الماء والكلاً في البادية ، أو في مواضع غير بعيدة عن حدود الحضارة من العراق وبلاد الشام ، وخاصة في العقدة التي تتصل بها طرق القوافل ، ويعود الفضل في تكونها وظهورها الى هذه الأمور المذكورة ، ولا سيما موضعها من خطوط سير القوافل، حيث يتقاضى سادات تلك المواضع (إتاوات) عن التجارة التي تمر بها ، وعن التجارة التي تحمل اليها لبيعها في أسواقها ، فيتجمع لهم دخل لا بأس به من هذه الجباية التي قد ترتفع أحياناً حتى تصل الى درجات التعسف بالتجارة . ويكون سادات هذه المواضع أصحاب حظ عظيم ، اذ كانت مواضعهم عصباً ضرورياً رئيسياً في تجارة البادية ، بحيث لا تجد القوافل الكبيرة المحملة بالتجارة النفيسة بدءاً

من المرور منها ، فان دخلهم يكون حيثئذ كبيراً ، يحملهم على التوسع والطموح وعلى السيطرة على الآخرين بقدر الامكان .

وكما كانت القوافل التجارية والطرق البرية رحمة للمستوطنات الصحراوية التي نشأت وتكونت عند عقد العصب الحساس لهذه الطرق ، كذلك صارت تلك الطرق نقمة على تلك المستوطنات . اذ طالما قضت عليها وحكمت عليها بالموت ، فقد يجد التجار وأصحاب القوافل طرقاً أسهل وأقصر في قطعهم للبادية ، أو معاملة أطيب من سيد قبيلة منافس أو حماية عسكرية أقوى ، فيتحولون عن تلك الطرق المسلوكة الى طرق أخرى ، فتموت بذلك المستوطنات المقامة عليها ، ويضطر أهلها الى تركها الى مواطن جديدة . وقد كان لاستخدام الطرق المائية من طرق نهريّة وبحريّة ، أثر كبير في إمارة الطرق البرية أو في منافستها ، كذلك كان للطرق البرية ولا سيما الطرق العسكرية الممهدة التي أقامها الرومان والروم في بلاد الشام ، أو الفرس في العراق أثر كبير في القضاء على المستوطنات التي نشأت في البوادي ، اذ فضّل التجار السير في هذه الطرق المأمونة التي لا يتحكم فيها سادات القبائل في مقدراتهم ، ولا يدفعون ضرائب مرور عن الأرضين على تلك الطرق الموحشة المقفرة المملوءة بالمخاطر والتي يتحكم فيها أبناء البادية في مقدرات التجار ، فيفرضون عليهم ضرائب مرور من أرضهم كما يشاءون من غير تقدير لما سيجر ذلك عليهم وعلى التجار من أضرار . وبذلك أعان أبناء البادية بأنفسهم على إمارة مستوطناتهم في بعض الأحيان .

ويظهر من (جغرافية) (سترابو) أن أرض الجزيرة ومنطقة الفرات والبادية المتصلة ببلاد الشام ، كانت في حكم سادات قبائل . يحكمون وكأنهم (عمال) (فيلارك) Phylarchus . وكان بعض هؤلاء يحكمون أرضين صغيرة ، وحكمهم حكم (مشايخ القبائل) في عرف هذا اليوم : يشتغل أتباعهم بالرعي ، وبعضهم يشتغلون بالزراعة ، وآخرون بالتجارة . وكان قسم منهم أعراباً يتنقلون في البادية ، ومنهم أشباه أعراب ، ولا سيما أولئك القاطنين على ساحل العقبة ، أي خليج (أيلة) وقد استغل هؤلاء الأعراب طبيعة أرضهم . فكانوا يجبون (العشر) من النجار . أو يشتغلون هم أنفسهم بالانتجار أو يقومون بنقل التجارة لحساب غيرهم من التجار .

وقد كان الأعراب هم الوحيدين الذين في استطاعتهم حماية الطرق البرية الممتدة بين العالم المتحضر القديم : العراق وبلاد الشام ، فهم وحدهم سادة البوادي ، وفي أيديهم (إكسبر الحياة) الماء . لهم آبار أو عيون ، و (صهاريج) سرية يخزنون فيها الماء . ولهم مخازن احتياطية مملوءة بهذه المادة الثمينة الضرورية للحياة ، يملأونها من أماكن قد تكون بعيدة عنهم ، ثم يحملونها معهم حيث ذهبوا ، وإلى منازلهم . وهي قِربٌ كبيرة يصنعونها من الجلد ، تمونهم بالماء ، وتمون القوافل المارة بهم بما يحتاجون إليه وبما يكفيهم للتنقل من منزل إلى منزل آخر . وقد أطلق اليونان على أكثر هؤلاء اسم Scentitae = Skenitai ، بمعنى الساكنين في الخيام . لأن (السكينه) Skenai = Skynai معناها الخيمة والبيت ، وهي تقابل لفظة (سكوت) (سكوت) Sukkot في العبرانية ، التي تعني الخيمة والبيت أيضاً^١ .

والـ (سكينته) Skenitai ، هم كما قلت أهل الخيام ، الخيام المصنوعة خاصة من شعر المعز^٢ ، وهم أعراب يقطنون البادية وطرفي العراق والشام ، تمتد منازلهم في بلاد الشام حتى تبلغ الخط الممتد بين Europus و Thapascus في الشمال على رأي (بلينيوس)^٣ ، وتمتد في الغرب حتى تبلغ حدود Apamea ، على رأي (سترابون) . أما حدود مجالات هؤلاء الأعراب من الشرق ، فتمتد من أعالي الفرات حتى تبلغ ملتقاه بدجلة في الجنوب على رأي (سترابون) كذلك^٤ . ويفصلهم النهر عن منازل قبيلة (أثالي) Athali في كورة Characene^٥ .

وذكر (سترابو) أن سادات (سكان الخيام) كانوا يجيئون الضرائب من التجار في أثناء مرورهم بمناطق نفوذهم ، وكان بعضهم يشتط عليهم فيتقاضى منهم ضرائب عالية ، ولا سيما أولئك الذين يتزلون على ضفتي النهر ، فتجنب التجار المرور بمناطقهم ، ومنهم من كان يتساهل فيعاملهم بلطف ورعاية^٦ . وذكر أيضاً أن الرومان وسادات الأعراب كانوا يسيطرون على الجانب الغربي للفرات

Die Araber, I, S. 272, W. Gesenius, Hebr. und Aram.

Handwörterbuch, (1921), S. 542.

Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927), P 513.

Pliny, VI, 21.

Strabo, XVI, 2.

Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927) 513.

Strabo, XVI, I, 27.

حتى إقليم بابل ، وأن فريقاً من سادات القبائل كانوا يشايعون الرومان ، وفريقاً آخر كان يشايح الفرس ، وأن الذين كانوا يسكنون على مقربة من النهر كانوا أقل ميلاً وتودداً الى الرومان من الذين كانوا يقيمون على مقربة من العربية السعيدة^١. وبلغت منازل الـ (السكينية) سكان الخيام حدود مملكة (حدياب) Adiabene^٢ والجبال في العراق على رأي (سترابو)^٣. ويذكر (سترابو) أن من هؤلاء رعاة ، وأن منهم متلصصين، يغزون وينهبون ، ويتنقلون من مكان الى مكان حيث يكون المرعى ، أو تتوافر الغنائم والأموال^٤ ، وأن طريق بابل و (سلوقية) الى الشام الذي يسلكه التجار يمر في أرض جماعة من هؤلاء الأعراب يعرفون بـ Malli في أيامه . لهم البادية يتحكمون فيها كيفما يشاؤون^٥ .

ولا نجد في كتاب (سترابو) شيئاً يتعاق بأصل (السكينية) ، سكان الخيام، وبالزمن الذي ظهرت فيه هذه التسمية . وقد ذكر ان من مواطنهم مدينة اسمها Skenai ، وهي معروفة عندهم ، تقوم على (قناة) على حدود أرض (بابل) ، وعلى بعد ثمانية عشر (شوينوى) Scholnoi من مدينة (سلوقية) ، كما ذكر انهم يسمون الآن باسم آخر ، هو : (ملوى) Mallol (مالي) Malli^٦ . وقد ذهب الباحثون مذاهب عدة في تعيين موضع مدينة Skenai ، ان جاز التعبير عنها بلفظة (مدينة) ، فذهب بعضهم الى انها (عكبرا) ، وذهب بعض آخر الى انها (الحيرة) ، فالحيرة بمعنى المخيم والمعسكر ، وهو معنى قريب من معنى لفظة Skenai . وذهب آخرون الى انها (مسكين) أو (مسجين) ، وهو موضع يقع شمال بغداد، أو (بيت مشكنة) . ولكل رأي ودليل في اختياره لذلك المكان^٧ .

ويظهر من وصف (سترابو) لأحوال (سكان الخيام) ، أي الأعراب . انهم كانوا كثرة ، وقبائل تنتقل مع الماء والكلاء . أما الـ Mallol . فانهم كان منهم

- | | |
|---|---|
| Strabo, XVI, I, 28. | ١ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funter Halbband, (1927), 514, Strabo, XVI, I, 27. | ٢ |
| Strabo, XVI, I, 26. | ٣ |
| Strabo, XVI, I, 26. | ٤ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, 514, Strabo, XVI, I, 27. | ٥ |
| Die Araber, I, S. 271, Strabo, 16, 748, XVI, 26, | ٦ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, S. 513. | |
| Die Araber, I, S. 272, Ed. Sachau, Die Chronik von Arbela, 1915, 62. | ٧ |

أشباه مستقرين ، وآخرون مستقرون ، تكاد منازلهم تكون ثابتة، ولهم نظام يمكن أن نسميه نظام حكومة . ويدبر شؤونهم سادات منهم ، يشرفون على أعراسهم ويرعون طرق القوافل التي تمر بأرضهم، لأنها تأتي لهم بفوائد كبيرة^١ .
ومن الإمارات التي يرجع كثير من الباحثين أصول حكامها إلى أصول عربية: الحضر Hatra ، و (إمارة حمص) Emesa و (إمارة الرها) Edessa ، والرصافة ، وتدمر، وإمارات أخرى . وهي إمارات لا يمكن أن نقول أن ثقافتها كانت ثقافة عربية ، وإن غالب سكانها كانوا من العرب ، ولكننا نستطيع أن نقول أن العرب كانوا يتحكمون فيها ، وإن هنالك أدلة تزداد يوماً بعد يوم ، تزيد في الاعتقاد بأن العنصر العربي كان قوياً فيها ، وإن سكانها كانوا عرباً ، ولكنهم تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيه ، فتشققوا على عادة تلك الأيام بثقافة بني لرم ، واتخذوا من لسان بني لرم لساناً لهم في الكتابة ، ومن قلم بني لرم قلماً لهم يكتبون به ويعبرون عن احساسهم وشعورهم وعلمهم به .
أما (الحضر) ، فهي اليوم آثار شائعة في البرية بوادي التراث جنوب غربي الموصل ، على بعد (١٤٠) كيلومتراً منها . ولعلماء الآثار آراء في أصل التسمية ، فمنهم من ذهب إلى أنها من أصل لرمي ، ومنهم من رجح أنها من أصل عربي ، بمعنى (الحيرة) أي (العسكر) ، وقد عرفت بـ (اترا) Atra و Atral في اليونانية ، وبـ (هترا) Hatra في اللاتينية^٢ . وهي (حطرا) في الكتابات التي عثر عليها في الحضر^٣ .

ويرى (هرتسفلد) E. Herzfeld أن القبائل العربية هي التي أسست هذه المدينة ، أسستها في القرن الأول قبل الميلاد حصناً منيعاً أقام ساداتها فيه مستفيدين من الخلاف الذي كان بين الفرث واليونان، حيث استغلوه بذكاء وحكمة، فحصلوا على أموال من الجانبين ، لما لموضعهم من الشأن العسكري والسياسي والاقتصادي . وكانوا كلما ازداد مالهم وبرزت أهميتهم، ازدادت المدينة توسعاً وبهاءً وعمراً، حتى صارت

Die Araber, I, S. 274. ١

Brockelmann, Lexi, Syriacum, 1928, 228, Levy — Goldschmid ٢

Wörterbuch über die Talmudim und Midraschim, Bd., 2, 1922, 40a,

Die Araber, I, S. 275.

Die Araber, I, S. 275, II, S. 225. ٣

مدينة كبيرة ذات شأن ، سكنتها جاليات أجنبية أيضاً ، أنجزت ، وتولت الوساطة في البيع والشراء ، ونقل تجارة آسية الى تجار أوروبا . وتجارة أوروبا وحاصلاتها الى تجار آسية^١ .

وقد قوت الكتابات الإرامية التي عثر عليها في (الحضر) سنة (١٩٥١ م) رأي (هرتسفلد) ، القائل بأن الذين أسسوا هذه المدينة هم قبائل عربية ، وذلك لورود أسماء عربية فيها مع اسماء إيرانية وإرامية . وقد وجد أن نسبة الأسماء العربية تزيد على نسبة الأسماء العربية في كتابات مدينة (تدمر) ، وهي مكتوبة بلغة (بني إرم) كذلك ، وهذا مما يدل على وجود جالية عربية قوية في الحضر^٢ . ولكن ذلك لا يعني في الزمن الحاضر أن غالب السكان كانوا عرباً .

وقد نعت رئيس معبد الحضر الكبير بـ (سادن العرب) ، على غرار تلقيب ملوك الحضر أنفسهم بـ (ملوك العرب)^٣ . واسم هذا السادن ، هو (أفرهط) ، وقد قال عن نفسه : (رب ي تا دي عرب) ، أي : (أفرهط سادن العرب) ، وذكر مترجم النص أن المؤلف في كتابات الحضر أنها لا تنسب الكاهن الى عبدة الإله أي المتعبدين ، ولكن تنسبهم الى الآلهة ، بأن يكتب (سادن الإله ...) ، لا (سادن عبدة الإله ...) ، كما هو في هذا النص ، ويرى مترجمه أن (أفرهط) قد خالف المؤلف ، وخالف عادة القوم . تقليداً لما فعله الملك (سنطروق) ملك الحضر من تلقيب نفسه بـ (ملك العرب)^٤ (ملك الأعراب) .

وقد عثرت مديرية الآثار العامة في العراق على نص وسمته بـ (٧٩) من النصوص التي عثر عليها في الحضر ، جاء فيه اسم المدينة (الحضر) ، لأول مرة ، فلم يسبق ورود هذا الاسم في نصوص سابقة . وقد ورد على هذا الشكل : (حطرا) ، على نحو ما ينطق به في لغة (بني إرم)^٥ . كما وردت فيه جملة :

١ E. Herzfeld, Hatra, In ZDMG., 68, 1914, 663, U. Kahrstedt, Artabanss, III, 67, Die Araber, I, S., 275, Th. Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber, 1879, 33, F. Altheim, Die Krise der Alten Welt, I, 1943, 132, 206. Die Araber, I, S. 276. ٢

٣ مجلة سومر ، المجلد الحادي والعشرين ، ١٩٦٥ ، (كتابات الحضر) ، لفؤاد سفر ، (ص ٢٢) .

٤ سومر ، العدد المذكور (النص رقم ٢٢٣) (ص ٢٨) .

٥ راجع السطر ١٤ ، وهو السطر الأخير من النص المذكور ، مجلة سومر ، السنة (١٩٦١) ، المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني ، (ص ١٢ ، ١٥ ، ١٧) .

« وبالحفظ العائدة الى العرب »^١ ، وهي جملة ذات دلالة مهمة بالطبع ، لأنها تشير الى العرب ووجودهم في هذه المنطقة ، كما ذكر فيه (عربوا)^٢ ، ولأسم إقليم (عربايا) شأن كبير ، لأنه نسبة الى العرب ، وفيه تقع مدينة الحضر. أما أسماء ملوك الحضر ، فهي أسماء غير عربية النّجار ، يظهر على بعضها أنها إيرانية ، وعلى بعض آخر أنها لإرمية . غير ان علينا ان نفكر في أن التسميات لا يمكن ان تكون أدلة يستدل بها على أصل الناس . فقد كانت العادة تقليد الأجانب ومحادثهم في اختيار أسمائهم ، ولا سيما عند الحكام والملوك . فقد كانوا يختارون لهم في كثير من الأحيان أسماء أو ألقاباً من الدول القوية التي تتحكم في شؤونهم والتي لها سلطان عليهم . فقد لقب جماعة من ملوك (اليطوريين) أنفسهم بـ (بطلميوس) ولقب نفر منهم أنفسهم بـ (ليسناس) *Lysanias* وبـ (فيلبيون) *Philippion* ، وهي من التسميات اليونانية ، مع أن الإيطوريين ليسوا يونانيين^٣ . كذلك نجد اللحيانيين يقلدون اليونان ، فيلقبون أنفسهم بـ (بطلميوس) ، مع أنهم عرب ، وهكذا قل عن أهل (الرها) و (تدمر) وأمثالهم فلأنهم هم وملوكهم قد قلدوا اليونان في أسمائهم وفي اتخاذ ألقاب يونانية لهم ، وهم مع ذلك ليسوا من اليونان . ولهذا لا نستطيع أن نحكم على أصل الانسان استناداً الى الألقاب والأسماء . وينطبق هذا الرأي على ملوك الحضر أيضاً ، فإن (سنطروق) وهي تسمية إيرانية فرثية ، لا يمكن أن تقوم دليلاً على ان أصله من الفرث^٤ .

ويلاحظ ان كثيراً من كتابات الحضر ، لا يكتفى فيها بذكر اسم الشخص واسم أبيه ، وانما يذكر فيها اسم جده أيضاً ، واسم والد جده أحياناً . وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ستة أجداد . ونجد هذه الطريقة في الكتابات الصفوية كذلك ، وقد استدلل (اينو ليتمان) *E. Littmann* من طريقة تدوين الصفويين لأنسابهم على هذه الصورة على أنهم عرب ، لأن العرب يعتنون بالنسب أكثر من عناية غيرهم به ، فيذكرون أسماء الآباء والأجداد . ولذهب بعض أهل الحضر هذا المذهب في تدوين أنسابهم ، رأى بعض الباحثين ان أصحاب هذه الكتابات

- ١ العدد المذكور (سطر ١٠) من النص .
- ٢ العدد المذكور (سطر ١٤) .
- ٣ *Die Araber, I, S. 278.*
- ٤ *Die Araber, I, S. 280.*

هم من أصل عربي^١ .

وما زال تأريخ الحضرة غامضاً ناقصاً ، فيه فجوات واسعة ، لم تملأ حتى الآن . ويرى الذين عنوا بدراسة تأريخها أنها تعود الى القرن الأول قبل الميلاد ، وربما امتد تأريخها الى ما قبل ذلك . وأما ازدهارها ، فقد كان في أيام (الفرث) Parthians ، وهم (الاشكانيون) و (ملوك الطوائف) في الكتب العربية . وقد عاركت (الرومان) و (الساسانيين) ، وتعرضت للخراب والدمار في أيام (سابور) المعروف بـ (سابور الجنود) في الكتب العربية ، وذلك سنة (٢٤١) للميلاد . ولم تتمكن بعد هذا الحادث من استعادة نشاطها وقوتها ، فذكر ان جيشاً رومانياً مرّ بها سنة (٣٦٣) للميلاد ، فوجدها خراباً^٢ .

ومن ملوك الحضرة ، الملك (سنطروق) ، وقد ورد اسمه في طائفة من الكتابات . ويظهر انه كان مؤسس سلالة ملكية من السلالات التي حكمت هذه المدينة . وقد عرف ابوه باسم (نصر و مري) (نصر)^٣ . ولعله كان اول من ملك الحضرة . ويظهر ان اباه لم يكن ملكاً ، ولكن كان كاهناً . وقد ورد اسمه في نص رقم برقم (٨٢) من نصوص الحضرة ، مؤرخ بسنة (٣٨٨) من التقويم السلوقي ، الموافق لسنة (٧٧) للميلاد . ومعنى هذا ان الملك (سنطروق) كان يحكم في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد . ولا يستبعد ان يكون قد حكم قبل هذا العهد . ويعد هذا النص من اقدم النصوص المؤرخة التي عثر عليها في هذه المدينة^٤ .

وقد عثر على كتابات اخرى ، ورد فيها : (سنطروق ملك بن نصر و مريا)^٥ . ولورود جملة (ملك العرب) بعد اسم الملك شأن كبير بالطبع ، لأنها توضح علاقة هذا الملك بالعرب بكل جلاء .

وقد أمكن الحصول في هذا اليوم على أسماء عدد من حكام الحضرة . منهم : (اورودس) (وروود) ، وكان يلقب بلقب (مريا) ، اي (السيد)

Die Araber, I, S. 280.

١ مجلة سومر ، المجلد الثامن ، الجزء الاول (١٩٥٢) (ص ٣٩ وما بعدها) .

٢ لعله (نصر و مديا) .

٣ مجلة سومر ، (١٩٦١ م) المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني (ص ٢٢ وما بعدها) .

٤ سومر ، العدد المذكور (ص ٢٢) ، حاشية (٣) .

و (الرئيس) . و (نصرو) (نصر) ، وقد لقب بلقب (مريا) كذلك . وهو ابن (نثرى هبه) (نثرى هاب)^١ ووالد الملك (سنطرق) (سنطروق) الموسوم بـ (الأول) . ثم (ولس) (ولس) (ولوجس) ، وقد لقب بـ (مريا) أي (الرئيس) في أحد النصوص ويلقب (ملكا ذي عرب) ، أي (ملك العرب) (ملك الأعراب)^٢ ، في نص آخر . مما يدل على أنه عاف لقب (مريا) ، أي السيد أو الرئيس ، الذي لقب به في أول عهده بالحكم ، وهو لقب أسلافه ، واستبدله بلقب (ملك) . وهو أضخم من لقب (مريا) بالطبع .

وقد عثر على تمثال كتبت على قاعدته جملة : (تمثال ولس ملك العرب) . وقد أقام ذلك التمثال وأمر بتسطير الكتابة (جرم اللات بن حي)^٣ .

ثم الملك (سنطرق) (سنطروق) الأول ، وهو ابن (نصرو) (نصر) (نصر ومريا) ، وقد لقب بـ (ملكا ذي عرب) ، أي (ملك الأعراب)^٤ وقد كان حكمه في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد (٧٧ = ٧٨ م)^٥ . ثم الملك (عبد سميا) ، الملقب بلقب (ملكا ذي عرب) (ملكا ذي عرب) ، وهو والد الملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني^٦ .

والملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني ، وهو ابن الملك (عبد سميا) ، هو والد ملك آخر اسمه (عبد سميا) كذلك^٧ . وملك آخر اسمه (معنا) (معني) أي (معن) في عريتنا^٨ .

ولعل (تراجان) (٩٨ - ١١٧ م) الامبراطور الروماني ذا المطامع الواسعة في الشرق الأدنى ، كان قد فكر في الاستيلاء على الحضر في عهد (سنطرق) (سنطروق) أو أيام (عبد سميا) . اذ عثر على منار في طريق سنجار دون عليه اسمه ، يشير الى وصوله الى هذه المواضع من العراق . ولكن الرومان لم

-
- ١ النص رقم ١٩٤ ، Die Araber, IV, S. 266.
 - ٢ النصوص : ١٤٠ ، ١٩٣ ، Die Araber, IV, S. 266.
 - ٣ Nr. 193, Die Araber, IV, S. 260.
 - ٤ النص ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ .
 - ٥ Die Araber, IV, S. 266.
 - ٦ النص ١٩٥ .
 - ٧ النص ٢٨ و ٣٦ و ١٩٥ ، Die Araber, IV, S. 267.
 - ٨ راجع النص في : Die Araber, II, S. 249, 267.

يتمكنوا من الاستيلاء على الحضر ، وبعد ان حاصروها مدة ، تراجعوا عنها ، لأنهم وجدوا صعوبة في فتحها ، وعادوا الى (أنطاكية)^١ .

وقد ورد في النص (١٣٩) اسم (نثرى هب) ، وهو ابن (نوهرا) ، وهو ابن (سنطرق) (سنطروق) ، الملقب بلقب (ملكا) اي (الملك)^٢ . ويظن ان حكم (اثل ملكا) ، اي الملك (اثل) (أثال) او (اثال الملك) بتعبير اصح ، والذي ورد اسمه في النصوص ، دون ان يذكر اسم والده ، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد ، او في النصف الثاني منه ، وهوملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين^٣ .

واما (برسميا) ، فقد كان من معاصري (سبتيميوس سيفيروس) Septimius Severus الذي كان حكمه في حوالي السنة (١٩٣) الى السنة (٢١١) بعد الميلاد^٤ . وكان من خصومه المزعجين . فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن اسوار مدينته حتى اكرهه على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها ، بسبب العطش الذي اثر في جيشه ، على حين كان الماء كثيراً في المدينة مخزوناً عندهم . وبسبب المقاومة العنيفة التي اظهرها الفرسان العرب ، وإلقاء اهل الحضر ، قتابل النفط على جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها^٥ .

ولما ظهرت الدولة الساسانية كانت الحضر على صلات طيبة بالرومان . وكانت تلعب دوراً خطيراً في عالم التجارة لموقعها المهم بالنسبة لطرق القوافل لذلك الوقت ، فتحرش بها الساسانيون وغزوها ، ثم دمروها في الأخير ؛ وكان سبب ذلك هو أن (اردشير) الأول ، مؤسس الدولة الساسانية ومهدم كيان الدولة الأشكانية ، دولة الفرث ، لما انتصر على دولة الفرث ، حارت الدويلات الصغيرة ، وفي جملتها حكومة الحضر . في أمرها ، وظنت أن النصر سيكون للفرث ، فوقفت موقف الحذر من الساسانيين ، ورأى ملك الحضر (الضيزن) أن من الأصلح له

Dilleman, Haute Mesop., 129.

Die Araber, IV, S. 259, A. Caquot 258. ، سومر ١٩٦١ ، ٢

Die Araber, IV, S. 267. ٣

Die Araber, IV, S. 267. ٤

Dio Cassius, LXXVI, 2.3, LXXVI, 9.4, II, 12, Herodian, III, 9, 12, Fr. Stark, ٥

Rome on the Euphrates, PP. 255.

ان ينضم الى الرومان الذين كانوا قد توجهوا نحو الشرق ، واستولوا على (ميديا) ، وان يهاجم الفرس . فهاجمهم وتغلب عليهم في معركة (شهرزور) كما تذكر الموارد العربية ، وأسر بئراً من بنات ملك الفرس^١ . وكان ذلك في حوالي السنة (٢٣٢) للميلاد تقريباً . فسار (سابور) الأول ، وهو (سابور الجنود) ، وهو ابن الملك (أردشير الأول) ، الى الحضرة يريد الانتقام من (الضيزن) ، فتحصن (الضيزن) ، وأناخ (سابور) على حصنه أربع سنين ، من غير أن يتمكن من فتحها ، ثم ان ابنة للضيزن اسمها (النصيرة) رأت (سابور) ف وقعت في حبه ، فراسلته وأرشدته الى طريقة يتمكن بها من احداث ثغرة في سور المدينة ففتحتها ، واستولى عليها وقتل أباه ، وأباد أهل المدينة ، وأخذ (سابور) النصيرة فأعرس بها بعين التمر ، ثم تذكر خيانتها (فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غدائرها بذنبه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً)^٢ . وقد تعرض (الطبري) لمدينة الحضرة ، فقال : (وكان بحيال تكريت بسين دجلة والفرات مدينة يقال لها : الحضرة ، وكان بها رجل من الجرامقة ، يقال له : الساطرون ، وهو الذي يقول فيه أبو دواد الإيادي :

وأرى الموت قد تدلى من الحضرة على ربّ أهله الساطرون

والعرب تسميه الضيزن ، وقيل : إن الضيزن من أهل باجرمى . وزعم هشام بن الكلبي انه من العرب من قضاة ، وانه الضيزن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة ، وان امه من تزويد بن حلوان اسمها جيهلة ، وانه انما كان يعرف بأمه . وزعم انه ملك ارض الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وان ملكه كان قد بلغ الشام ، وانه تطرّف من بعض السواد في غيبة كان غابها الى ناحية خراسان سابور بن أردشير . فلما قدم من غيبته ، اخبر بما كان منه . فقال : ذلك من فعل الضيزن ، عمرو بن إله بن الجُدّي بن الدهاء بن جشم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ... فلما

١ مجلة سومر ، المجلد الثامن (١٩٥٢ م) ، الجزء الاول ، (ص ٤٣) .
٢ الطبري (٤٩/٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٨١/١ وما بعدها) ،
Die Araber, III, S. 108.

اخبر سابور بما كان منه ، شخص اليه حتى اناخ على حصنه ، وتحصن الضيزن في الحصن ، فزعم ابن الكلبي انه اقام سابور على حصنه اربع سنين ، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول الى الضيزن^١ . ثم ذكر قصة ابنة الضيزن مع سابور وخيانتها لآبيها وكيف كان مصيرها .

ويذكر (الطبري) في روايته التي يرفعها الى (ابن الكلبي) ، ان سابور اباد أفناء قضاة الذين كانوا مع الضيزن ، فلم يبق منهم باق ، واصيبت قبائل من بني حلوان ، فانقرضوا ودرجوا . ثم ذكر في ذلك شعراً نسبته الى (عمرو بن إله) ، وكان مع الضيزن^٢ .

وروى (ابن خلدون) ان الملك بالحضر كان لبني العبيد بن الأبرص بن عمرو ابن اشجع بن سليح ، وكان آخرهم (الضيزن بن معاوية بن العبيد) المعروف بالساطرون^٣ . وذكر (البكري) ان (سابور ذا الأكتاف) لما اغار على الحيرة وهزم اهلها ، سار معظمهم الى الحضر ، يقودهم (الضيزن بن معاوية التنوخي) فنزلوا به ، وهو بناء بناه الساطرون الجرهماني ، فأقاموا به مع الزباء ، فكانوا رجالها وولاء امرها . فلما قتلها (عمرو بن عدي) ، استولوا على الملك حتى غلبتهم غسان . وقد فرق البكري بين الضيزن والساطرون^٤ .

وقد ورد في أثناء القصص المروي عن الضيزن والحضر شعراً نسبوا بعضه الى (أبي دؤاد الإيادي) ، وبعضه الى (الأعشى ميمون بن قيس) ، وبعضاً آخر الى (عمرو بن إله) وبعضاً الى (عدي بن زيد العبادي)^٥ . ونجد في شعر الأعشى ، خبر حصار (شاهبور الجنود) حولين للحضر ، وذكر (عدي ابن زيد العبادي) في شعره أن صاحب الحضر شاد حصنه بالمرمر . وجلله كلساء ، ولطير في ذراه وكور . ثم باد ملكه . فصار بابه مهجوراً ، بعد أن كانت دجلة تجي له والخابور^٦ . وهو من هذا الشعر الحزين الذي يغلب عليه طابع الموعظة

- ١ الطبري (٤٧/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، أيضا (الضيزن بن جلهمه أحد الأحراف) ، البلدان (٢٩٠/٣) ، في الأغاني (جبهلة) ، الاغاني (١٤٠/٢) .
- ٢ الطبري (٤٩/٢) .
- ٣ ابن خلدون (٢٤٩/٢) .
- ٤ معجم ما استعجم (ص ١٧) (طبعة وستنفلد) ، المشرق : السنة الخامسة عشرة ، الجزء ٧ ، تموز ١٩١٢ ، ص ٥١٦ ، Ency., II, P. 207.
- ٥ الطبري (٤٧/٢ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٨١/١ وما بعدها) .
- ٦ الطبري (٥٠/٢) .

واحتقار الدنيا وازدراؤها ، وهو طابع أغلب الشعر المنسوب الى الشاعر البائس .
والساطرون، هو (سنطروق) في كتابات الحضرة ، حرف ، فصار الساطرون
عند أهل الأخبار^١ . وهو لفظ إيراني الأصل انتقل من اللسان الإيراني الى لغة
بني إرم ، فصار (سنطروق) ، وصير (سنطروس) في اللغة الإغريقية .
وقد عرف بهذا الاسم أحد الملوك الفرث (الاشكانيين) سنة ٧٦ أو ٧٥ - حتى
٧٠ أو ٦٩ ق. م.^٢ .

وإذا أخذنا برواية (الطبري) من أن (الساطرون) كان من الجرامقة ،
فمعنى ذلك أنه كان من (بني إرم) ، أي من الآراميين . وهم سكان (جرمقاي)
(جرمقايه) الواقعة شرق دجلة جنوب (الزاب) الصغير ، وقد عرفوا بالجرامقة
نسبة الى هذه الأرض^٣ . وإذا أخذنا بروايته أيضاً من أن الساطرون كان يعرف
بالضيض ، وأن (الضيض) هو من أهل (باجرمي)^٤ ، فإن في الرواية الثانية
تأييد للرواية الأولى من أن الساطرون كان من بني إرم ، ولم يكن من العرب^٥ .

غير أن (ابن الكلبي) يقول انه من العرب وانه من قضاة من جهة الأب،
وانه من (تزيذ) من جهة الأم ، وانه ملك أرض الجزيرة ، وان ملكه بلغ
الشأم ، وكان معه من (بني عبيد بن الأجرم) وقبائل قضاة . وانه انتهز
فرصة غياب (سابور بن أردشير) الى ناحية خراسان ، وتطرف في بعض ناحية
السواد . فلما قدم (سابور) من غيبته أخبر بما كان منه ، فشخص اليه حتى
اناخ على حصنه أربع سنين في رواية (ابن الكلبي) ، وحوالين كما جاء في شعر
(الأعشى)^٦ .

وقد انكر (نولدكه) رواية (ابن الكلبي) بشأن حصار (سابور) للحضر .
وقد كانت الحضرة قد فتحت في عهد (أردشير) الأول ، وذلك قبل وفاته في

١ Ency., II, P. 207, Herzfeld, In ZDMG., LXVIII, Nöldeke, Gesch. der Perser und Araber, S. 33.

٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن الجزء الاول ، (ص ٤٠) ،
Die Araber, IV, S. 267.

٣ Die Araber, III, S. 13, IV, S. 108.

٤ الطبري (٤٧/٢) (دار المعارف) .

٥ Die Araber, III, S. 108.

٦ الطبري (٤٧/٢) .

سنة (٢٤١) للميلاد . وكان ابتداء حكم (سابور) الأول سنة (٢٤١) ، لذلك رأى (نولدكه) وغيره ان قصة (الضيزن) لا علاقة لها بهذا (السابور) ، بل بملك آخر من ملوك الساسانيين . وان (الضيزن) المذكور كان رئيساً من رؤساء قبائل عربية متنفذة كانت تغير من (الجزيرة) ومن الغرب على ارض السواد^١ .

ورجحوا كون (سابور) اهل الأخبار هو (سابور) الثاني الذي حكم من سنة (٣٠٩) حتى سنة (٣٧٩) للميلاد . وقد عرف هذا الملك بغزوه للعرب، وهو صاحب (الأنبار) و (خندق سابور) الذي حفره لحماية الأرض الحصبة المأهولة من هجمات الأعراب . وقد كان هذا الملك قد غزا (خراسان) وغزا ارض بكر وتغلب التي تقع بين الروم والفرس (المناظر) ، وحيث كانت تنزل قضاة ايضاً^٢ .

وقد رأى بعض الباحثين ان تعبير (سابور الجنود) (شاهبور الجنود) الوارد في شعر (الأعشى) و (عمرو بن لثة) تعبيراً يشير الى ان (سابور) المذكور لم يكن ملكاً ، بل كان قائداً من قادة الجيش ، وان هذا التعبير هو ترجمة لمصطلح (اسبهيد) spahbad الذي يعني (صاحب الجيش) . وان المقصود به رجل اسمه (شاپور) (سابور) وكان بدرجة (اسبهيد) (اسبهيد) على (السري) ، وذلك في أيام (قباد) الأول (٤٨٨ - ٥٣١ م) . واما (الضيزن) ، فهو عامل من العمال العرب من سادات القبائل ، قد يكون (طيزانيس) الذي كان في أيام (قباد) ، الذي يجوز أن يكون صاحب المدينة المسماة (طيزن آباد) و (مرج الضيائن) على الفرات^٣ .

ومن القبائل التي ورد اسمها في كتابات الحضرة ، قبيلة عرفت بـ (بني تيمو)^٤ (بني تيم) . وهي قبيلة قد تكون لها صلة بقبيلة ورد اسمها في كتابات عثر عليها في وادي حوران بالعراق ، وفي كتابات عثر عليها في تدمر . ويظهر أنها

١ Die Araber, III, S. 109.

٢ الطبري (٥٥/٢ فما بعدها) (ذكر ملك سابور ذو الاكتاف) .

٣ Die Araber, III, S. III.

٤ سومر ، (١٩٦٥) ، المجلد الحادي والعشرون ، الجزء الاول والثاني ، (ص ٣٣) ،

النص رقم ٢١٤ .

كانت من القبائل المعروفة في الجزيرة وفي بادية الشام في القرن الأول قبل الميلاد فما بعده ، ويدل اسمها على أنها من القبائل العربية المتنقلة التي انتشرت بطونها في منطقة واسعة في ذلك العهد^١ .

هذا ما عرفه أهل الأخبار عن الحضرة وعن أهل الحضرة . فهم على رأيهم من عرب قضاة نزلوا هذه المواضع في زمن لم يحدده ، وأقاموا هناك .

ولا اظن ان ما أورده (ابن الكلبي) عن الحضرة قد جاء به من عنده ، فلا بد أن يكون قد أخذه من موارد فارسية أو أرمية ، وأغلب ظني انه اخذ ذلك عن اهل الحيرة ، وقد كان لرجال الدين فيها من النصارى علم بالتواريخ . أخذوا علمهم هذا من موارد متعددة ، وعنهم نقل ما أورده عن الحضرة .

وأما مملكة (الرها) Edessa ، وتعرف بـ (أورفة) (أرفه) أيضاً ، فإن معارفنا عنها من ناحية صلتها بالعرب لا تزال ضئيلة ، وهي من مدن الجزيرة العليا . وقد أزهرت قبل الميلاد ، وظهرت مثل جملة مدن في هذه المنطقة ، منها : (بتي) ، ونصيبين ، و (سنكارا) Singara أي (سنجار)^٢ .

وقد أدخل (بلينيوس) (الرها) Edessa و Carrhoe = Callirhoe في جملة مدن (العربية)^٣ . ويقال للرها (أورفة) Orrhoe = Orhai في السريانية . وهي من (ديار مضر) المعروفة باسم Orrhoene = Osrhoéne قديماً^٤ . وهي Orroel في تاريخ (بلينيوس)^٥ . ومن جملة الأرضين الداخلة في العربية^٦ ، ومن المدن التي جدد بناءها (سلوقيوس الأول) Seleuces^٧ . وعرفت أيضاً باسم (انطوخية) ، نسبة الى (انطيوخس) Antiochus الرابع^٨ .

١ المصدر نفسه ، القسم الانكليزي (ص ١٠) .

٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ، (ص ٣٨) .

٣ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 287.

٤ المشرق : السنة الخامسة عشرة : الجزء ٣ آذار ١٩٥٢ (ص ٢٠١ وما بعدها) ، Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV, Lane, P. 263.

٥ Pliny., V, XX, 85, VI, 25, 129, VI, IX. 25, Vol. II. P. 285, 355, 437.

٦ Pliny., V, XX, 85, Vol. II, P. 284, 285.

٧ Euseblus - Hieronumus, Chron., P. 127.

٨ Pliny., V, XX, 86, Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV.

وقد تكونت في القرن الثاني قبل الميلاد مملكة في هذه المقاطعة، مقاطعة Osrhoene = Orroei . مملكة عدّ الكتبة اليونان والرومان ملوكها من العرب ، وعدّوا سكانها عرباً كذلك ، ويعزو (روستوفتزييف) Rostovtzeff سبب تكونها الى حالة الفوضى التي ظهرت في (ما بين النهرين) على أثر انحلال دولة السلوقيين واحتلال الفرث (الاشكانيين لها)^١ . وذكر (بروكوبيوس) ان هذه المقاطعة انما دعيّت Osroes نسبة الى ملك اسمه Osroes كان يحكم هذه الأرض في الأيام الغابرة ، وكان حليفاً للفرس^٢ .

وقد وجدت اسماء ملوك (الرها) مرتبة ترتيباً زمنياً بحسب حكم الملوك في (حولية الرها) Edessene Chronicle المدونة حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد ، وفي حولية اخرى هي (حولية زقنين) على مقربة من (آمد) المدونة حوالي سنة (٧٧٥) بعد الميلاد، كما وجدت اسماء بعضهم على نقود ضربت في ايامهم^٣ . ويظهر من دراسة هذه الاسماء ان بينها اسماء عربية نبطية ، مثل : (معنو) وهو (معن) ، و (بكرو) وهو (بكر) ، و (عبدو) وهو (عبد) ، و (سهرو) او (سحر) اي (سهر) او (سحر) ، و (أبحر) ، و (مزعور) او (مذعور) . و (وائل)^٤ . وقد استدلل بعض الباحثين من تسمي ملوك (الرها) بأسماء عربية ، ولا سيما الملوك الأولين منهم ، ومن نص (بلينيوس) على ان كورة Osrhoene ، هي كورة عربية ، ومن الوضع السياسي العام في الجزيرة Mesopotamia في القرن الثاني وما بعده قبل الميلاد ، اذ كانت القبائل العربية قد توغلت في هذه المنطقة ، استدلل من كل ذلك على ان اهل الرها وحكامها كانوا من اصل عربي^٥ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار بناء (الرها) الى رجل سمّوه (الرها بن البلندي بن مالك بن دعر) (دعر) ، او الى (الرها بن سبند بن مالك بن

Rostovtzeff, The Social, II, P. 842, Poidebared, Texte, P. X, 72, 94, 129, 138, 148 198. ١

Procopius, I, XVII, 24. ٢

Ency., III, P. 994, Hill, P. XGV, XGVI. ٣

Ency., III, P. 994. ٤

Die Araber, I, S. 312. ٥

دعر بن حجر بن جزيلة بن لحم^١ . وذكر (ياقوت) نقلاً عن (يحيى بن جرير النصراني) ان اسم (الرها) هو (أذاسا) في الرومية ، وقد بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر ، بناها الملك (سلوقس)^٢ . وقد أخذ (يحيى ابن جرير) قوله هذا من كتب سريانية أو يونانية ولا شك . وقد انتزعها المسلمون في سنة (٦٣٩ م) من ايدي الروم^٣ .

ومن آلهة (الرها) ، الإلهان : *Azizus = Azizos* و *Monimos* ، ويرى (مورتدمن) *Mordtmann* أن اسمي هذين الإلهين ليسا إرميين ، ولكنها عريبان أصليان ، وأن أحدهما هو *Azizus* — هو عزيز ، والآخر — وهو *Monimos* — هو عربي كذلك ، وهم منعم . ودليله على ذلك ورود اسميهما في الكتابات اليونانية التي عثر عليها في (الكورة العربية) *Provincia Arabia* . وهما في رأيه من آلهة عرب هذه المنطقة ، وإن أضافهما بعض الكتاب الى السريان الوثنيين . والإله (بعل) و (نبو)^٤ .

وللرها شأن خطير في الأدب السرياني والأدب النصراني وتأريخ النسطورية ، وقد أزهرت هذه المدينة خاصة في أواسط القرن الرابع وفي القرن الخامس للميلاد^٥ . وتنسب الى ملكها (أبجر) *Abgar* رسالة قيل إنه بعثها الى (المسيح) ومراسلات مع الحواريين الأولين^٦ .

ويراد بـ (كاليرهو) *Kallirrhoe = Callirhoe* الموضع الذي يعرف اليوم باسم (بركة إبراهيم)^٧ (نبع خليل الرحمان)^٨ . وذكر (بلينيوس) أن سكان (الجزيرة) *Mesopotamia*

١ البلدان (٣٤٠/٤) ، البكري ، معجم (٤٢٥/١) (طبعة وستنفلد) ، الاصطخري (٧٦) ، ابن حوقل (١٥٤) (ذكر) .

٢ البلدان (٣٤٠/٤) .

٣ *Ency., III, P. 996.*

٤ *Mordtmann, Mythologische Miscellen, In ZDMG., 32, 1878, S. 564, Hill P. XGV.*

٥ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠٤) .
٦ *Eusebius, The Ecclesiastical History, I, XIII, (Kirsopp Lake), (Loeb Classical Library), Vol., I, PP. 85.*

٧ *Hill, P. XGV, Buckingham, Travels in Mesopotamia, 1827, I, III, E. Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, 1883 S. 196.*

٨ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠١) .

Arabes, Qui Praetavi Vocantur عرباً . مقرهم Singara . أي سنجار . وهو موضع قديم كان معروفاً في أيام الاشوريين . ويظن أن (تراجان) نزل به في أثناء سيره على الحضر قطيسفون Ktesiphon^٧ .

اما Emesa = Homesa = Hemesa أي حمص ، فيشبه تأريخها من أوجه عديدة تأريخ مدينة تدمر . فقد حكمتها أسرة عربية ، وازهر تأريخها في الزمن الذي ازهرت فيه حكومات المدن الأخرى التي ظهرت على اثر الضعف الذي حل بالسلوقيين . وتقع في السهل الذي يرويه نهر العاصي Orontes وعلى مسافة ميل منه . وعرفت بـ Emesa أيضاً عند اليونان والرومان^٢ . وفي أيام (بومبيوس) كانت مدينة Arethusa المجاورة لحمص ، وهي (الرستن) ، مقر أسرة عربية حاكمة^٣ . وفيها ولد القيصر Elagabalus^٤ . وبلغت أوج ازدهارها في أيام (سبتيموس سيفيروس) Septimius Severus وفي أيام Elagabalus واسكندر سيفيروس Alexander Severus ، وكانت أسقفية في عهد البيزنطيين .

وقد استدلل بعض الباحثين من صور أسماء ملوك حمص على أصلهم العربي . فالأسماء Sampsigeramus و Jamblichus = Iamblichus و Azizus و Soemus هي أسماء تحمل طابعاً عربياً خالصاً . وهي أسماء ترد في نصوص صفوية ، وفي نصوص عربية أخرى أيضاً ، مما يحملنا على الذهاب الى ان ملوك حمص هم عرب كذلك^٥ . فالاسم الأول وهو Sampsigeramus يمكن ان يقرأ (شمس جرم) ، والاسم Jamblichus يمكن ان يكون (يملك) او (جميل) او ما شابه ذلك ، والاسم Azizo هو (عزيزو) . اي (عزيز) . واما الاسم Soemus ، فيمكن ان يكون (سخيم) أو (سهيم) او ما شاكل ذلك .

١ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 286, Sarre und Ernest Herzfeld, Archeo. Reise, I, S. 203, Ency., IV, P. 435, Lane P. 263.

٢ Ency., II, P. 309, Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 54-55, Pauly Emesa.

٣ (الرستن بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء متناة من فوق وآخره نون ، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس ، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة) ، البلدان ٢٤٩/٤ .

٤ Ency., II, P. 309.

٥ العرب في سوريا قبل الاسلام، تأليف رينه ديسو، تعريب عبد الحميد الدواخلي، (ص ١١) ، R. Dussaud, 10, Die Araber, III, S. 126.

وقد كان حكام (حمص) المذكورين كهنة يخدمون هيكل (الشمس) ، شأنهم في ذلك شأن سادات القبائل العربية الذين كانوا كهنة يخدمون آلهة القبيلة ويتحدثون باسمها بين أتباعهم^١ .

وقد ذكر (اصطيفانوس البيزنطي) أن شيخاً عربياً اسمه (مانيكو) Maniko كوّن مشيخة في Chalcis اي (قنسرين) من بلاد الشام^٢ .

وكانت القبائل العربية قد استقرت في هذه المنطقة قبل أيام (اصطيفانوس) بمدة طويلة . وفي (الحيار) ، وهي من أعمال قنسرين ، اصطدم الغساسنة بالمناذرة في سنة (٥٥٤) بعد الميلاد، فانتصر الغساسنة على خصومهم انتصاراً كبيراً . ولما استولى الفرس على (قنسرين) وانتزعوها من البيزنطيين ، كان للقبائل العربية سلطان واسع في مناطق قنسرين وحلب ومنبج وبالس^٣ .

ويعد (الطوريون) Ituraean من القبائل العربية البدوية ، وهي في التوراة من نسل (اسماعيل)^٤ . وهم من نسل (يطور) ابن اسماعيل . وتقع ارضهم بين (اللجاة) Trachonitae والجليل ، وتسمى (جدورا) ، وتقع في جنوب غربي دمشق . وهي من المناطق التي امتزج فيها العرب ببني إرم^٥ .

وقد توسع الطوريون فدخلوا لبنان ، وسكنوا البقاع Massyas ، واستولوا على (بعلبك) Heliopolis ، وتوسعوا نحو الغرب حتى هددوا (جبيل) Byblos وبروت Berytos . وذلك في أيام ملكهم المعروف بـ (بطلميوس) Ptolmaios ابن Mennaia^٦ .

وقد استدل بعض العلماء من حشر التوراة الطوريين في (الإسماعيليين) ومن اسم Mennaia وهو اسم والد الملك (بطلميوس) الذي عاش في القرن الأول

١ Die Araber, III, S. 126.

٢ Rostovtzeff, Vol., II, P. 482, Poidebard, Texte, P. 42, 207.

٣ Ency., II, P. 1021.

٤ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٥ : أخبار الأيام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٣١ ، الاصحاح الخامس ، الآية ١٩ ، قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢) ، Paulys, 18 ter Halbband, 2377 - 2378.

٦ Die Araber., I, S. 314.

قبل الميلاد^١ ، ومن عثورهم على اسماء يطورية في كتابات لاتينية ويونانية تشير الى انها اسماء عربية الأصل ، استدلو من هذا كله على انهم من العرب ، وان كانوا قد تأثروا بثقافة بني إرم . فقد تأثر بهذه الثقافة اكثر العرب الشماليين^٢ .

ويعلق بعض العلماء اهمية كبيرة على اسماء الأشخاص في اثبات اصولهم . ووجهة نظرهم هذه في الأسماء ، هي التي جعلتهم يذهبون الى ان من ذكرناهم هم عرب في الأصل ، فان الطابع الظاهر على اسمائهم هو طابع عربي . وترد تلك الأسماء في الكتابات الصفوية ، واصحابها هم عرب من غير شك ، وان دونوا بقلم نبطي وبلغة نبطية . فالنبط انفسهم هم عرب ، كما أشرت الى ذلك في مواضع من هذا الكتاب ، وكما سأشير الى ذلك في مواضع تأتي .

ان تدوين اهل الشرق الأدنى لأفكارهم ولما يحول في خاطرهم بلغة بني إرم وقلمهم ، جعل من العسير على الباحثين الحكم في أصول الشعوب التي دوت بتلك اللغة والتي عاشت في الهلال الخصيب . ويدفعنا هذا التدوين الى وجوب اتخاذ موقف حذر ومتأن في ابداء آراء قطعية في أصول من ذكرنا ، فنظرية الحكم على اصول الناس استناداً الى اسمائهم وان بدت انها نظرية معقولة مقبولة ، لكنها مع ذلك غير علمية . فأكثر اسماء المسلمين في هذا اليوم هي اسماء عربية خالصة ، ما في ذلك شك ، فهل يجوز لنا أن نستنبط من هذه الأسماء بأن حملتها هم من اصل عربي ؟ ثم ان علينا أن نتذكر ان اسماء القبائل والأشخاص عند الشعوب السامية هي متقاربة ومتشابهة ، وهي واحدة في كثير من الأحيان ، بل ان علينا ان نتذكر ان ثقافة تلك الشعوب وآراءها متقاربة . ويعني هذان ان من الواجب علينا الا نتسرع فنحكم بأن ذلك مأخوذ من هذا الشعب أو من تلك الشعوب ، وان ذلك الشعب او هذا هو الأصل ، فسألة تشابه الأسماء وتقاربها في النطق ، لا يمكن أن تكون في نظري ميزاناً توزن به اصول الناس . وهل يعقل ان يكون الأعاجم المسلمون عرباً ، لأن اسماءهم عربية ، او ان زنوج الولايات المتحدة هم من اصل اوروبي لأن اسماءهم اوروبية ؟

١ كان يهدد مدينة (دمشق) سنة ٨٤ - ٨٣ قبل الميلاد ، Die Araber, I, S. 314.

٢ العرب في سورية قبل الاسلام ، رينه ديسو (ص ١١ وما بعدها) ،
Die Araber, I, S. 315.

ويتصل الحديث عن هذه الإمارات بالحديث عن (تدمر) المدينة المعروفة
بـ (بالميرا) Palmyra عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية من الاغريق
واللاتين . وهي (تدمر امورو) في كتابات (تغلات فلاصر الأول) (تغلت
فلاسر) (تغلت فلاسر)^١ في رأي بعض الباحثين^٢ . وسأتكلم عنها بعد حين .

١ (تغلت فلاسر) ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨٨ / ١) .
٢ Ency., III, P. 1020, Syria, Revue D'art Oriental et D'Archéologie, Tome VII,
Paris, 1926, P. 77, Dhorme, Palmyre dans les Textes Assyriens, In Revue
Biblque, 1924, PP. 106, Ency., Brita., Vol., 17, P. 161, Hommel, In ZDMG.,
XLIV, 547.